لا أدعك حتى تعطينى مائة ألف فأعطاه ؟ فجاء مروان فقال واﷲ يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلك جاءك رجل قد سمى بيت مال الديوان وبيت الخلافة وبيت كذا وبيت كذا فأعطيته مائة ألف فقال له ويلك كيف أصنع بابن الزبير وقال ابن أبى الدنيا أخبرنى عمر بن بكير عن على بن مجاهد بن عروة قال سأل ابن الزبير معاوية شيئا فمنعه فقال واﷲ ما أجهل أن ألزم هذه البنية فلا أشتم لك عرضا ولا أقصم لك حسبا ولكنى أسدل عمامتى من بين يدى ذراعا ومن خلفى ذراعا فى طريق أهل الشام وأذكر سيرة أبى بكر الصديق وعمر فيقول الناس من هذا فيقولون ابن حوارى رسول اﷲ ص وابن بنت الصديق فقال معاوية حسبك بهذا شرفا ثم قال هات حوائجك وقال الأصمعى ثنا غسان بن نصر عن سعيد بن يزيد قال دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابنا له صغيرا فلطمه لطمة دوخ منها رأسه فلما أفاق ابن الزبير قال للصبى ادن منى فدنا منه فقال له الطم معاوية قال لا أفعل قال ولم قال لأنه أبى فرفع ابن الزبير يده فلطم الصبى لطمة جعل يدور منها كما تدور الدوامة فقال معاوية تفعل هذا بغلام لم تجز عليه الأحكام قال إنه واﷲ قد عرف ما يضره مما ينفعه فأحببت أن أحسن أدبه وقال أبو الحسن على بن محمد المدائنى عن عبد اﷲ بن أبى بكر قال لحق ابن الزبير معاوية وهو سائر إلى الشام فوجده وهو ينعس على راحتله فقال له أتنعس وأنا معك أما تخاف منى أقتلك فقال إنك لست من قتال الملوك إنما يصيد كل طائر قدره قال لقد سرت تحت لواء أبى إلى على بن أبى طالب وهو من تعلمه فقال لاجرم قتلكم واﷲ بشماله قال أما إن ذلك كان فى نصرة عثمان ثم لم يجز بها فقال إنما كان لبغض على لا لنصرة عثمان فقال له ابن الزبير إنا قد أعطيناك عهدا فنحن وافون لك به ما عشت فسيعلم من بعدك فقال أما واﷲ ما أخافك إلا على نفسك وكأنى بك قد خبطت فى الحبالة واستحكمت عليك الانشوطة فذكرتنى وأنت فيها فقلت ليت أبا عبد الرحمن لها ليتنى واﷲ لها أما واﷲ لها أما واﷲ لأحللتك رويدا ولأطلقتك سريعا ولبئس الولى أنت تلك الساعة وحكى أبو عبد اﷲ نحو هذا وقد تقدم أن معاوية لما مات وجاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة انشمر منها ابن الزبير والحسين بن علي فقصدا مكة فأقاما بها ثم خرج الحسين إلى العراق وكان من أمره ما تقدم وتفرد بالرياسة والسؤدد بمكة ابن الزبير ولهذا كان ابن عباس ينشد ... يالك من قنبرة بمعمرى ... خلالك الجو فبيضى واصفرى ... ونقرى ما شئت أن تنقرى ... .

يعرض بابن الزبير وقيل إن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن الزبير يقول إنى قد بعثت اليك بسلسلة من فضة وقيد من ذهب وجامعة من فضة وحلفت لتأتينى فى ذلك فأبر قسمى ولا تشق